الفصل الثاني والثلاثون

العطف

أولا : عطف البيان :

أمثلة له :

من أمثلته عند الزجاج قوله تعالى : ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ﴾ [1] ، وفي توجيهه يقول : " (سنين) جائز أن يكون نصبا وجرا ، النصب على : لبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة ، ويكون على تقدير العربية (سنين) معطوفا على (ثلاث) عطف البيان ، ويجوز أن يكون (سنين) من نعت المائة وهو راجع في المعنى إلى (ثلاث) ، كما قال عنترة :

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم [2]

فجعل (سودا) نعتا لـ(حلوبة) ، وهو في المعنى نعت لجملة العدد " [3] .

قلت: ما أجازه من إعراب (سنين) عطف بيان لـ(ثلاث) مخالف لمذهب الجمهور؛ لأنهم خصوا عطف البيان بالمعارف محتجين بأن البيان بيان كاسمه، والنكرة مجهولة، ولا يبين المجهول بمجهول [4] ، وقد اختار الزمخشري [5] هذا الإعراب ولم يذكر غيره ، ويؤيده قول بعضهم : إن بعض النكرات يكون أخص من بعض ، والأخص يبين غير الأخص [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [7] :

---

(١) الكهف /٢٥ .

(٢) البيت من الكامل ، من معلقته المشهورة ، وخافية الغراب : آخر ريش الجناح مما يلي الظهر ، والأسحم : الأسود ، انظر الخزانة ٣٩٠/٧ ، ومعاني الفراء ١٣٨/٢ .

(٣) معاني الزجاج ٢٧٨/٣ ، ٢٧٩ . (٤) انظر البحر المحيط ١١٧/٦ . (٥) الكشاف ٥٥٩/٢ .

(٦) انظر التصريح ١٣١/٢ . (٧) الزخرف /٣١ .

" معنى (لولا) : هلا ... و(هذا) في موضع رفع ، و(القرآن) هنا مبين عن (هذا) ، ويسميه سيبويه [1] عطف البيان ؛ لأن لفظه لفظ الصفة ، وما يبين به هذا أنه عطف البيان قولك : مررت بهذا الرجل ، وهذه الدار ، وهذا القرآن ، إنما يذكر بعد (هذا) أسماء يبين بها اسم الإشارة " [2] .

وتقدم من أمثلته توجيه قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في فصل النكرة والمعرفة [3] .

ثانيا : عطف النسق :

حروف العطف التي تقتضي

التشريك في اللفظ والمعنى مطلقا :

[الواو] يتبين من توجيه الزجاج لقوله تعالى : ﴿... وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ﴾ [4] أنه يذهب مذهب الجمهور في أن الواو لمطلق الجمع بين المتعاطفين ولا تفيد الترتيب ، وفي ذلك يقول : " قوله : (وأرجلكم إلى الكعبين) القراءة بالنصب ، وقد قرئت بالخفض ، وكلا الوجهين جائز في العربية ، فمن قرأ بالنصب فالمعنى : فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم ، على التقديم والتأخير ، والواو جائز فيها ذلك كما قال جل وعز : ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [5] ، والمعنى : واركعي واسجدي ؛ لأن الركوع قبل السجود " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ : " معنى الركوع قبل السجود ، المعنى : اركعي واسجدي ، إلا أن الواو إذا ذكرت فمعناها الاجتماع ، وليس فيها دليل أن أحد الشيئين قبل الآخر ؛ لأنها تؤذن بالاجتماع ، والعمل والحال تدل على تقدم المتقدم من الاثنين " [7] .

وقد قرر هذا المعنى للواو أيضا في توجيه قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ...﴾[8]،وقوله:﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾[9].

(١) الكتاب٢/١٨٤-١٩٣.(٢) معانيه ٤٠٩/٤ . (٣) انظر ص٧٥ .
(٤) المائدة /٦ . (٥) آل عمران /٤٣ . (٦) معانيه ١٥٢/٢ ، ١٥٣ .
(٧) معانيه ٤١٠/١ . (٨) الأحزاب/٧،انظر معانيه٢١٦/٤. (٩) الجاثية/٤،انظر معانيه٤٣٤/٤.

وقال في قوله تعالى : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَى﴾ [1] : " قالوا : الصلاة الوسطى العصر ، وهو أكثر الرواية ، وقيل : إنها الغداة ، وقيل : إنها الظهر ، والله قد أمر بالمحافظة على جميع الصلوات ، إلا أن هذه الواو إذا جاءت مخصصة فهي دالة على الفضل للذي تخصصه ، كما قال عز وجل : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لله وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [2] فذكرا مخصوصين لفضلهما على الملائكة ، وقال يونس النحوي في قوله عز وجل : ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [3] : إنما خص النخل والرمان وقد ذكرت الفاكهة لفضلهما على سائرها " [4] .

وقد مثل المصرح[5] بقوله تعالى:﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ...﴾ لتقرير أن الواو تنفرد من بين سائر حروف العطف بأنها تعطف ما تضمنه الأول إذا كان المعطوف ذا مزية .

حركة واو العطف :

يقول الزجاج في توجيهه للبسملة : " أصل الحروف التي يتكلم بها وهي على حرف واحد الفتح أبدا ، إلا أن تجيء علة تزيله ؛ لأن الحرف الواحد لا حظ له في الإعراب ولكن يقع مبتدأ في الكلام ولا يبتدأ بساكن ، فاختير الفتح لأنه أخف الحركات، تقول: رأيت زيدا وعمرا ، فالواو مفتوحة ، وكذلك : فعمرا ، الفاء مفتوحة " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ [7] : " هذه الواو مفتوحة لأنها واو عطف دخلت عليها ألف التوبيخ وهي ألف الاستفهام فبقيت الواو مفتوحة على ما يجب لها " [8] .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ [9] : " هذه الواو واو النسق ، دخلت عليها ألف الاستفهام فبقيت مفتوحة على هيئتها قبل دخولها ، ومثل ذلك في الكلام قول القائل : تكلم فلان بكذا وكذا ، فيقول قائل مجيبا له : أوَهو ممن يقول ذلك ؟ " [10] .

---

(١) البقرة /١٣٨ . (٢) البقرة /٩٨ . (٣) الرحمن /٦٨ .
(٤) معانيه ٩٧/٥ . (٥) التصريح ١٣٦/٢ . (٦) معانيه ٤١/١ .
(٧) البقرة /١٧٠ . (٨) معانيه ٢٤٢/١ . (٩) آل عمران /١٦٥ .
(١٠) معانيه ٤٨٧/١ .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ ...﴾ [1] : " هذه الواو واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام فبقيت مفتوحة ... " [2] .

وقال في قوله تعالى :﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى ... ﴾[3]:" الفاء في قوله : (أفأمن)[4] والواو في قوله : (أوأمن) فتحت لأنها واو عطف وفاء عطف دخلت عليها ألف الاستفهام "[5].

الاستغناء عن الواو :

تحدث عن ذلك الزجاج وأجازه في توجيه قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ ...﴾ [6] حيث قال : " المعنى : وكتب عليكم إذا حضر ، إلا أن الكلام إذا طال استغني عن العطف بالواو ، وعلم أن معناه معنى الواو لأن القصة الأولى قد استتمت وانقضى معنى الغرض فيها ، فعلم أن المعنى : فرض عليكم القصاص وفرض عليكم الوصية " [7] .

قلت : والذي سار عليه الزجاج في الآية من حذف واو العطف سار عليه القرطبي في تفسيره [8] ، ولم يرتضه أبو حيان [9] .

واو العطف لا تزاد :

يسير الزجاج على ذلك وهو مذهب البصريين ، يقول في قوله تعالى : ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ [10] : " قال بعض النحويين : إن الواو مسقطة ، قال : المعنى : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا لو افتدى به ، وهذا غلط ؛ لأن الفائدة في الواو بينة ، وليست الواو مما يلغى " [11] .

ويقول في قوله تعالى : ﴿وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ﴾ [12] : " قال بعضهم : معنى الواو الطرح ، المعنى : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق ، وذهب إلى

---

(١) الأعراف /٦٣ . (٢) معانيه ٣٤٦/٢ . (٣) الأعراف /٩٨ .
(٤) الأعراف /٩٧ ، وهي أيضا في النحل /٤٥ . (٥) معانيه ٣٦٠/٢ .
(٦) البقرة /١٨٠ . (٧) معانيه ٢٤٩/١ . (٨) ٢٥٨/٢ .
(٩) انظر البحر المحيط ١٦/٢ . (١٠) آل عمران /٩١ .
(١١) معانيه ٤٤١/١ . (١٢) الأنبياء /٩٧ .

أن هذا جواب قوله :﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾[1]، والواو عند البصريين لا يجوز أن تطرح ويكون معناها الطرح ، والجواب عند البصريين ـ ههنا ـ (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا) ، وههنا قول محذوف ، والمعنى : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق قالوا : يا ويلنا قد كنا ... " [2] .

ويقول في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً﴾[3] : " جاء عن ابن عباس رحمه الله أنه يرى حذف الواو ، وقال بعض النحويين : معناه : الفرقان ضياء، وعند البصريين أن الواو لا تزاد ولا تأتي إلا بمعنى العطف " [4] .

وقد ورد في كلامه ما يوهم ظاهره تجويز ما يمنعه البصريون وهو زيادة الواو ، فقال في قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[5] : " دخول الواو هنا وإخراجها من الأول واحد ، ويجوز أن تكون الواو تدخل على انقطاع القصة وأن الشيء قد تم " [6]، وهذا محمول ـ عندي ـ على أن مراده التسوية بين ما دخلته الواو وما لم تدخله من جهة المعنى والارتباط .

وقد أشار إلى أن (لا) النافية يؤتى بها مع واو العطف إذا تقدم الواو ما يفيد النفي، وذلك في توجيه قوله تعالى :﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[7] حيث قال: " عطف بـ(الضالين) على (المغضوب عليهم) ، وإنما جاز أن يقع (لا) في قوله تعالى : (ولا الضالين) لأن معنى (غير) متضمن معنى النفي " [8] .

[الفاء] ذكر الزجاج معنى الفاء العاطفة في توجيهه لقوله تعالى : ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [9] حيث قال : " زعم سيبويه أن معنى (وبينك) التوكيد ، والمعنى : هذا فراق بيننا ... ومثله في الكلام : أخزى الله الكاذب مني ومنك [10] ... وهذا لا يكون إلا بالواو ، ولا يجوز : فراق بيني فبينك ؛ لأن معنى الواو الاجتماع ، ومعنى الفاء أن يأتي الثاني في أثر الأول " [11] .

---

(١) من الآية ٩٦ من سورة الأنبياء . (٢) معانيه ٤٠٥/٣ . (٣) الأنبياء /٤٨ .
(٤) معانيه ٣٩٤/٣ . (٥) الكهف /٢٢ . (٦) معانيه ٢٧٧/٣ .
(٧) الفاتحة /٧ . (٨) معانيه ٥٤/١ . (٩) الكهف /٧٨ .
(١٠) انظر الكتاب ٢٢٥/٤ . (١١) معانيه ٣٠٤/٣ .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [١] : " القراءة : (فتصبح الأرض) لا غير ، قال سيبويه[٢] : سألت الخليل عن قوله تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض ...) فقال : هذا واجب ، ومعناه التنبيه ، كأنه قال : استمع أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا ، وقال غيره مثل هذا القول ، ومجاز هذا الكلام مجاز الخبر ، كأنه قال : أنزل فتصبح ، وأنشدوا :

ألم تسأل الربع القواء فينطق وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق [٣]

قال الخليل : معناه : فهو ينطق " [٤] .

وهذه الآية استشهد بها ابن هشام وغيره [٥] على أن الفاء تختص بأنها تعطف على الصلة ما لا يصلح كونه صلة لخلوه من العائد ، قال المصرح [٦] : جملة (تصبح الأرض) بالرفع معطوفة على جملة (أنزل) الواقعة خبر (أن) ، وكان القياس أن لا يصح العطف لخلوها من ضمير يعود على اسم (أن) ؛ إذ المعطوفة على الخبر خبر ، ولكنها لما قرنت بالفاء ساغ ذلك " .

الفاء العاطفة لا يعمل ما بعدها فيما قبلها :

ذكر الزجاج ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ [٧] فقال : " قوله : (وثمودًا فما أبقى) نسق على (عادًا) [٨] ولا يجوز أن ينصب بقوله : (فما أبقى) ؛ لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها ، لا تقول : زيدا فضربت ، فكيف وقد أتت (ما) بعد الفاء ؟ وأكثر النحويين لا ينصب ما قبل الفاء بما بعدها ، والمعنى : وأهلك ثمود فما أبقاهم " [٩] .

[ثم] أفاد الزجاج أن العطف بـ(ثم) يفيد الترتيب كما يتبين مما يلي :

ـ في توجيه قوله تعالى : ﴿... ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ﴾[١٠] قال : " أما دخول (ثم)

---

(١) الحج /٦٣ . (٢) الكتاب ٣/٤٠ .
(٣) البيت من الطويل ، وقائله جميل ، وهو من شواهد الكتاب ٣/٣٧ ، والقواء : القفر ، وسملق : جرداء ، وانظر شرح الكافية للرضي ٤/٦٦ ، ٧١ ، والخزانة ٨/٥٢٤ .
(٤) معانيه ٣/٤٣٦ . (٥) انظر التصريح ٢/١٣٩ . (٦) المصدر السابق .
(٧) النجم /٥١ . (٨) في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى﴾ ، آية ٥٠ .
(٩) معانيه ٥/٧٧ . (١٠) الأنعام /١٥٤ ، وقبلها : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ .

في قوله : (ثم آتينا) وقد علمنا أن (ثم) لا يكون الذي بعدها أبدا معناه التقديم ، وقد علمنا أن القرآن أنزل من بعد موسى وبعد التوراة ... فإنما دخلت (ثم) في العطف على التلاوة " [1] .

ـ في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾[2] قال : " زعم الأخفش أن (ثم) ههنا في معنى الواو ، وهذا خطا لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعربيته ، إنما (ثم) يكون للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير " [3] .

ـ في توجيه قوله تعالى : ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[4] قال :" (ثم) لا تكون إلا لشيء بعد شيء " [5] .

ما يفيد التشريك لفظا ومعنى
بشرط أن لا يقتضي إضرابا :
[معاني أو] [معناها الأصلي]

ذكر الزجاج المعنى الأصلي لـ(أو) في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[6] فقال : " ... ومعنى (أو) وقوع أحد الشيئين، فالمعنى أن فرعون قال:إني أخاف أن يبدل دينكم أو يفسد،فجعل طاعة الله عز وجل هي الفساد، فيكون المعنى : إني أخاف أن يبطل دينكم البتة ، فإن لم يبطله أوقع فيه الفساد، ومن قرأ : (وأن) فيكون المعنى : أخاف إبطال دينكم والفساد معه "[7].

وقال في قوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [8] : " قال غير واحد : معناها : بل يزيدون ، قال ذلك أبو عبيدة والفراء ، وقال غيرهما : أويزيدون في تقديركم أنتم ، إذا رآهم الرائي قال : هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على المائة ، وهذا هو القول ؛ لأنه على أصل (أو) ، وقال قوم : معناها معنى الواو ، و(أو) لا تكون بمعنى الواو ؛ لأن الواو معناها الاجتماع ، وليس فيها دليل على أن أحد الشيئين قبل الآخر ، و(أو) معناها إفراد أحد الشيئين أو الأشياء " [9] .

(١) معانيه ٣٠٥/٢ ، ٣٠٦ . (٢) الأعراف /١١ . (٣) معانيه ٣٢١/٢ .
(٤) الزمر /٦ . (٥) معانيه ٣٤٥/٤ . (٦) غافر /٢٦ .
(٧) معانيه ٣٧١/٤ . (٨) الصافات /١٤٧ . (٩) معانيه ٣١٤/٤ .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [1] : " هذا الموضع يحتاج إلى شرح ؛ لأن القائل قد يقول : ليس يخلو (أو) من أن يكون للشك أو لغير الشك، فإن كان للشك فمحال أن يكون موضع شك ، وإن كان معناها : بل أدنى : بل أقرب، فما كانت الحاجة إلى أن يقول : (قاب قوسين) ؟ كان ينبغي أن يكون : كان أدنى من قاب قوسين ، فالجواب عن هذا ـ والله أعلم ـ أن العباد خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم ، وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحزر ، فالمعنى : فكان على ما تقدرونه أنتم قدر قوسين أو أقل من ذلك ، كما تقول في الذي يقدر : هذا قدر رمحين أو أنقص من رمحين أو أرجح ، وقد مر مثل هذا في (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) [2] " [3] .

مجيء (أو) لمعان أخرى :

قال الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [4] : " (أو) دخلت ههنا لغير شك ، وهذه يسميها الحذاق باللغة (أو) الإباحة ، فتقول : جالس القراء أو الفقهاء أو أصحاب الحديث أو أصحاب النحو ، فالمعنى أن التمثيل مباح لكم في المنافقين ، إن مثلتموهم بالذي استوقد نارا فذاك مثلهم ، وإن مثلتموهم بأصحاب الصيب فهذا مثلهم ، أو مثلتموهم بهما جميعا فهما مثلاهم ، كما أنك إذا قلت : (جالس الحسن أو ابن سيرين) فكلاهما أهل أن يجالس ، إن جالست الحسن فأنت مطيع ، وإن جمعتهما فأنت مطيع " [5] .

وقد عقب محقق (معاني القرآن وإعرابه) على كلام الزجاج هنا نافيا أن تكون (أو) في الآية للإباحة ؛ لأنها ـ كما قال ـ تأتي في شيء يتوهم منعه ، وقرر أن (أو) فيها للتنويع ، أي يصلح مثلهم أن يكون هذه الحالة أو تلك .

قلت : قد نقل ابن هشام [6] أن أكثر ورود (أو) للإباحة في التشبيه ، وذلك يؤيد مذهب الزجاج في توجيه هذه الآية ونحوها .

وقال الزجاج في قوله تعالى : ﴿... فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [7] : " دخول

---

(١) النجم /٩ . (٢) الصافات /١٤٧ . (٣) معانيه ٥/٧١ . (٤) البقرة /١٩ .
(٥) معانيه ١/٩٦ ، ٩٧ . (٦) المغني ١/٦ . (٧) البقرة /٧٤ .

(أو) ههنا لغير معنى الشك ، ولكنها (أو) التي للإباحة ، تقول : (الذين ينبغي أن يؤخذ عنهم العلم الحسن أو ابن سيرين) فلست بشاك ، وإنما المعنى ههنا : هذان أهل أن يؤخذ عنهما العلم ، فإن أخذته عن الحسن فأنت مصيب ، وإن أخذته عن ابن سيرين فأنت مصيب ، وإن أخذته عنهما جميعا فأنت مصيب ، فالتأويل : اعلموا أن قلوب هؤلاء إن شبهتم قسوتها بالحجارة فأنتم مصيبون ، أو بما هو أشد فأنتم مصيبون ، ولا يصلح أن تكون (أو) ههنا بمعنى الواو " [1] .

وقد أنكر السهيلي[2] على الزجاج ذهابه إلى أن (أو) في هذه الآية للإباحة ، وقال : " وعندي أن (أو) لم توضع للإباحة في شيء من الكلام ، ولكنها على بابها " ، ثم فسر (أو) في الآية بأن الله تعالى ذكر قلوبا ولم يذكر قلبا واحدا ، فهي على الجملة قاسية ، وعلى التعيين إما كالحجارة ففيها ما هو كذلك ، وإما أشد قسوة ففيها ما هو كذلك أيضا ، قال : " وأما (أو) التي زعموا أنها للإباحة نحو : جالس الحسن أو ابن سيرين ، فلم توجد الإباحة من لفظ (أو) ولا من معناها ، وإنما أخذت من صيغ الأمر مع قرائن الأحوال " .

ونظير ما قاله السهيلي قول ابن هشام [3] : " التحقيق أن (أو) موضوعة لأحد الشيئين أو الأشياء ، وهو الذي يقوله المتقدمون ، وقد تخرج إلى معنى (بل) وإلى معنى الواو ، وأما بقية المعاني فمستفادة من غيرها ... " .

وقال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ ... مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [4] : " إن قال قائل : فلم قال : (أو دين) ؟ وهلا كان (من بعد وصية يوصى بها ودين) ؟ فالجواب في هذا أن (أو) تأتي للإباحة فتأتي لواحد واحد على انفراد ، وتضم الجماعة ، فيقال: جالس الحسن أو الشعبي ، والمعنى : كل واحد من هؤلاء أهل أن يجالس ، فإن جالست الحسن فأنت مصيب ، ولو قلت : جالس الرجلين فجالست واحدا منهما وتركت الآخر كنت غير متبع ما أمرت به ، فلو كان : (من بعد وصية يوصى بها ودين) احتمل اللفظ أن يكون : هذا إذا اجتمعت الوصية والدين ، فإذا انفردا كان حكم

(١) معانيه ١/١٥٦ .
(٢) انظر نتائج الفكر ص٢٥٣ ، ٢٥٤ .
(٣) المغني ١/٦٧ .
(٤) النساء /١٢ .

آخر، فإذا كانت (أو) دلت على أن أحدهما إن كان فالميراث بعده، وكذلك إن كانا كلاهما " [1] .

وهذه الآية عقب عليها محقق المعاني بأن الزجاج يطلق الإباحة على التنويع ، ولست أرى فيما فصله الزجاج في الآية ما يحمل على القول بذلك ، والذي ذهب إليه الزجاج فيها من كون (أو) للإباحة هو المختار عند الزمخشري [2] وغيره [3] .

وقال الزجاج في قوله تعالى : ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [4] : " (أو) دخلت على طريق الإباحة كما قال عز وجل : ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [5] ، فالمعنى : كل هؤلاء أهل أن يعصى ، فاعص هذا واعص هذا ، و(أو) بليغة في هذا المعنى ؛ لأنك إذا قلت : لا تطع زيدا وعمرا فجائز أن تكون نهيتني عن طاعتهما معا ، في حال إن أطعت زيدا على حدته لم أكن عصيتك ، وإذا قلت : لا تطع زيدا أو عمرا أو خالدا ، فالمعنى أن هؤلاء كلهم أهل ألا يطاع ، فلا تطع واحدا منهم ولا تطع الجماعة ، ومثله : جالس الحسن أو ابن سيرين أو الشعبي ، فليس المعنى أني آمرك بمجالسة واحد منهم ، ولكن معنى (أو) الإباحة ، المعنى : كلهم أهل أن يجالس ، فإن جالست واحدا منهم فأنت مصيب ، وإن جالست الجماعة فأنت مصيب " [6] .

وقد ذكر مثل هذا في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [7] في معاني سورة الإنسان [8] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[9] : " (أو) ههنا دخلت على جهة تصرف الشيء ووقوعه إما مرة كذا وإما مرة كذا ، فهي في الخبر هنا بمنزلة (أو) في الإباحة ، تقول : جالس زيدا أو عمرا ، أي كل واحد منهما أهل أن يجالس ، و(أو) ههنا أحسن من الواو ؛ لأن الواو يتضمن اجتماع الشيئين،

(١) معانيه ٢٣/٢ ، ٢٤ .
(٢) انظر الكشاف ٥٠٨/١ .
(٣) انظر البحر المحيط ١٨٦/٣ ، والدر المصون ٦٠٣/٣ .
(٤) الأنعام /١٧٦ .
(٥) الإنسان /٢٤ .
(٦) معانيه ٣٠١/٢ ، ٣٠٢ .
(٧) الإنسان /٢٤ .
(٨) انظر معانيه ٢٦٣/٥ .
(٩) الأعراف /٤ .
(١٠) معانيه ٣١٨/٢ .

لو قلت : (ضربت القوم قياما وقعودا) لأوجبت الواو أنك ضربتهم وهم على هاتين الحالتين ، وإذا قلت : ضربتهم قياما أو قعودا ولم تكن شاكا فإنما المعنى أنك ضربتهم مرة على هذه الحال ومرة على هذه الحال " [1] .

مجيء (أو) للتخيير :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿هَدْيًا بَالِغَ الكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾[2] : " يجوز أن تكون (أو) ـ وهو الأجود في اللغة ـ للتخيير ، فإن شاء أهدى ، وإن شاء قوم له الهدي وأطعم بدله على ما وصفنا ، أو جعل مثل ذلك صياما ؛ لأن (أو) للتخيير ، وقال بعضهم : كأنه إن لم يقدر على الإبل والغنم فينبغي أن يطعم أو يصوم ، والذي يوجبه اللفظ التخيير ، وأهل الفقه أعلم بالسنة في ذلك إلا أني أختار على مذهب أهل اللغة أنه مخير " [3] .

قلت : وقد فرق العلماء بين التخيير والإباحة بأن التخيير يمتنع فيه الجمع بين المتعاطفين أو المتعاطفات ، في حين يجوز ذلك في الإباحة [4] .

مجيء (أو) للتفصيل :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾[5]: " المعنى: قالت اليهود : كونوا هودا ، وقالت النصارى : كونوا نصارى " [6] ، وفي كلامه إشارة إلى أن (أو) في الآية للتفصيل بعد الإجمال ، قال المصرح في توجيه الآية : " (قالوا) كلام خبري ، وهو مشتمل على الواو العائدة على اليهود والنصارى ، فذكر الفريقين على الإجمال بالضمير العائد عليهما ثم فصل ما قاله كل فريق ... فـ(أو) لتفصيل الإجمال في فاعل (قالوا) وهو الواو " [7] .

(أم) المتصلة أو المعادلة :

تناول الزجاج (أم) المتصلة في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾[8] حيث قال : " وترفع (سواء) بالابتداء ، وتقوم (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) مقام الخبر ، كأنه بمنزلة قولك : سواء عليهم الإنذار وتركه ، و(سواء) موضوع

(١) معانيه ٢/٣١٨ . (٢) المائدة /٩٥ . (٣) معانيه ٢/٢٠٧ ، ٢٠٨ .
(٤) انظر أوضح المسالك ص١٨٨ . (٥) البقرة /١٣٥ . (٦) معانيه ١/٢١٣ .
(٧) التصريح ٢/١٤٥ . (٨) البقرة /٦ .

موضع (مستوي) ؛ لأنك لا تقيم المصادر مقام أسماء الفاعلين إلا وتأويلها تأويل أسمائهم ، فأما دخول ألف الاستفهام ودخول (أم) التي للاستفهام والكلام خبر فإنما وقع ذلك لمعنى التسوية ، والتسوية آلتها ألف الاستفهام و(أم) ، تقول : أزيد في الدار أم عمرو ؟ فإنما دخلت الألف و(أم) لأن علمك قد استوى في زيد وعمرو ، وقد علمت أن أحدهما في الدار لا محالة ، ولكنك أردت أن يبين لك الذي علمت ويخلص لك علمه من غيره ، فلهذا تقول : قد علمت أزيد في الدار أم عمرو ، وإنما تريد أن تسوي عند من تخبره العلم الذي قد خلص عندك ، وكذلك (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) دخلت الألف و(أم) للتسوية ... " [1] .

وقال في قوله تعالى :﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ... ﴾ [2] : " قال الخليل وسيبويه [3] : عطف (أنا) بـ(أم) على (أفلا تبصرون) لأن معنى (أم أنا خير) معنى : أم تبصرون ؟ كأنه قال : أفلا تبصرون أم تبصرون ؟ قال : لأنه إذا قالوا له : (أنت خير منه) فقد صاروا عنده بصراء " [4] .

ويقول ابن هشام [5] في توجيه الآية : المعطوف جملة (أنا خير) ، ووجه المعادلة بينها وبين الجملة التي قبلها أن الأصل : أم تبصرون ، ثم أقيمت الاسمية مقام الفعلية والسبب مقام المسبب ؛ لأنهم إذا قالوا له : (أنت خير) كانوا عنده بصراء ، وهذا معنى كلام سيبويه .

(أم) المنقطعة :

ذكر الزجاج ضابطها وفسرها بـ(بل) وهمزة الاستفهام في توجيه قوله تعالى : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾ [6] فقال : " معنى (أم) ههنا وفي كل مكان لا تقع فيه عطفا على ألف الاستفهام ـ إلا أنها لا تكون مبتدأة ـ أنها تؤذن بمعنى (بل) ومعنى ألف الاستفهام " [7] ، وكذلك فسرها بـ(بل) والهمزة في قوله تعالى : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ ﴾[9] ، وقوله تعالى :

(١) معانيه ١/٧٧ . (٢) الزخرف /٥١ ، ٥٢ . (٣) الكتاب ٣/١٧٣ .
(٤) معانيه ٤/٤١٥ . (٥) المغني ٢/٤٤ . (٦) البقرة /١٠٨ .
(٧) معانيه ١/١٩٢ . (٨) البقرة /١٣٣ ، معانيه ١/٢١٢ . (٩) النساء /٥٣ ، معانيه ٢/٦٢ .

﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ (٢) .

ما يقتضي التشريك

في اللفظ دون المعنى :

[بل] تكلم الزجاج عن هذا الحرف في توجيه قوله تعالى :﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ (٣) فقال: " (بل) استدراك وإيجاب بعد نفي ، تقول : ما جاءني زيد بل عمرو " (٤) .

عطف الظاهر على الضمير المنصوب :

أجاز الزجاج في قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ (٥) أن يكون (أخي) في موضع نصب من جهتين : الأولى : أن يكون نسقا على الياء في (إني) ، والمعنى : إني وأخي لا نملك إلا أنفسنا ... والثانية : أن يكون معطوفا على (نفسي) ، فيكون المعنى : لا أملك إلا نفسي ولا أملك إلا أخي " (٦) .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ...﴾ (٧) : " نصب عطفا على الهاء والميم التي في قوله : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ (٨) ، ويجوز أن يكون معطوفا على معنى (وأعتدنا للظالمين عذابا أليما) ويكون التأويل : وعدنا الظالمين بالعذاب ووعدنا عادًا وثمود وأصحاب الرس " (٩) .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٠) : " (الجبلة الأولين) عطف على الكاف والميم ، المعنى : اتقوا الذي خلقكم وخلق الجبلة "(١١).

وقد أجاز في توجيه قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١٢) أن يكون (يوم) منصوبا من جهة كونه معطوفا على الهاء في الآية التي قبله في قوله : (وأن أقيموا الصلاة واتقوه ...)، والمعنى: واتقوا يوم يقول كن فيكون ، وأجاز أن يكون منصوبا

(١) النمل /٢٠ ، معانيه ١١٣/٤ .
(٢) القمر /٤٤ ، معانيه ٩١/٥ .
(٣) الأنعام /٤١ .
(٤) معانيه ٢٤٧/٢ .
(٥) المائدة /٢٥ .
(٦) انظر معانيه ١٦٤/٢ ، ١٦٥ .
(٧) الفرقان /٣٨ .
(٨) الفرقان /٣٧ .
(٩) معانيه ٦٨/٤ .
(١٠) الشعراء /١٨٤ .
(١١) معانيه ١٠١/٤ .
(١٢) الأنعام /٧٣ .

بـ(اذكر) محذوفا ، وأن يكون منصوبا بالعطف على (السماوات والأرض) في قوله في الآية : (وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ...) أي : وخلق يوم يقول كن فيكون " [1] .

عطف الظاهر على الضمير المرفوع :

تحدث عن ذلك الزجاج في ثمانية مواضع وهي :

١ـ توجيه قوله تعالى : ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾[2] ، وفيه يقول : " كلام العرب: اذهب أنت وزيد ، والنحويون يستقبحون : اذهب وزيد ؛ لأنه لا يعطف بالاسم الظاهر على المضمر ، والمضمر في النية لا علامة له ، فكأن الاسم يصير معطوفا على ما هو متصل بالفعل غير مفارق له،فأما قوله :﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[3] فمن رفع فإنما يجوز ذلك لأن المفعول يقوي الكلام ، وكذلك : ضربت زيدا وعمرو، كما يقوي الكلام دخول (لا) ، قال الله جل ثناؤه : ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [4] " [5] .

٢ـ توجيه قوله تعالى : ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ [6] حيث أجاز فيه أن يكون (أخي) في موضع رفع من جهتين : الأولى : أن يكون نسقا على موضع (إني) ، والثانية : أن يكون عطفا على الضمير في قوله (أملك) ، والمعنى : أنا لا أملك أنا وأخي إلا أنفسنا [7] .

٣ـ توجيه قوله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ﴾ [8] حيث أجاز في توجيه القراءة برفع (العين) أن يكون عطفه على موضع (النفس) والعامل فيها ، وأن يكون رفعه على الاستئناف ، وأن يكون عطفا على المضمر في (بالنفس) لأنه في موضع رفع ، والمعنى أن النفس مأخوذة هي بالنفس ، والعين معطوفة على (هي) [9] .

٤ـ توجيه قوله تعالى : ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [10] ، وفيه يقول : " زعم

(١) معانيه ٢٦٣/٢ .
(٢) المائدة /٢٤ .
(٣) يونس /٧١ ، وانظر توجيهها في فصل المفعول معه ص٢٣٢.
(٤) الأنعام /١٤٨ .
(٥) معانيه ١٦٤/٢ .
(٦) المائدة /٢٥ .
(٧) معانيه ١٦٤/٢ ، ١٦٥ .
(٨) المائدة /٤٥ .
(٩) انظر معانيه ١٧٩/٢ .
(١٠) الأنعام /١٤٨ .

سيبويه أن العطف بالظاهر على المضمر المرفوع قبيح ، يستقبح : قمت وزيد ، وقام وزيد ، فإذا جاءت (لا) حسن الكلام فقلت : قمت ولا زيد ، كما أنه إذا أكد فقال: (قمت أنت وزيد) حسن ، وهو جائز في الشعر " [1] .

٥ـ توجيه قوله تعالى : ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [2] ، وفيه يقول : " هذا الاختيار ـ أعني ذكر (أنت) ـ تقول : اذهب أنت وزيد ، ولو قلت : (اذهب وزيد) كان قبيحا " [3] .

٦ـ توجيه قوله تعالى : ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [4] حيث أجاز في القراءة برفع (شركاؤكم) أن يكون معطوفا على الواو في (فأجمعوا) ، وقال : " لأن المنصوب قد قوى الكلام ، لو قلت : لو تركت اليوم وزيد لعلمت ، ولو قلت : لو تركت وزيد لقبح ،لأنك لا تعطف على الضمير المرفوع حتى تقوي المرفوع بلفظ معه"[5].

٧ـ توجيه قوله تعالى : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[6] حيث قال: "ويجوز (والطيرُ) على النسق على ما في (يسبحن) ، ولا أعلم أحدا قرأ بها "[7] .

قلت : ورفع (الطير) في الآية قراءة أثبتها أبو البقاء العكبري [8] وأبو حيان [9] والسمين [10] والألوسي [11] ، ولم ينسبوها ، ووصفها العكبري بالشذوذ ، وما ذكره الزجاج في توجيهها اقتصر عليه مكي [12] ومشى عليه أبو البقاء ، وفيها وجه آخر ذكره هو وغيره ، وهو إعراب (الطير) مبتدأ محذوف الخبر ، والتقدير : والطير كذلك ، أو : مسخرات .

٨ـ توجيه قوله تعالى : ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾[13] ، وفيه يقول :" قال بعض أهل اللغة : (هو) ههنا يعني به النبي صلى الله عليه وسلم ، المعنى : فاستوى جبريل والنبي عليهما السلام بالأفق الأعلى،وهذا عند أهل اللغة لا يجوز مثله إلا في

(١) معانيه ٣٠٢/٢ . (٢) الأعراف /١٩ . (٣) معانيه ٣٢٦/٢ .
(٤) يونس /٧١ . (٥) معانيه ٢٧/٣ ، ٢٨ . (٦) الأنبياء /٧٩ .
(٧) معانيه ٤٠٠/٣ . (٨) إملاء ما من به الرحمن ١٠/٤ . (٩) البحر المحيط ٣٣١/٦ .
(١٠) الدر المصون ١٨٥/٨ . (١١) روح المعاني ٧٦/١٧ .
(١٢) مشكل إعراب القرآن ٨٦/٢ . (١٣) النجم /٦ ، ٧ .

الشعر إلا أن يكون مثل قولك : استويت أنا وزيد ، ويستقبحون : استويت وزيد ، وإنما المعنى : فاستوى جبريل وهو بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية " [1] .

عطف الظاهر على الضمير المخفوض :

تناول ذلك الزجاج في أربعة مواضع أطال القول في موضع منها ، وسنبدأ بالثلاثة التي لم يطل فيها ونختم بالموضع الذي أطال فيه :

١ـ قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [2] : " القراءة نصب (الأرحام) ، المعنى : اتقوا الأرحام أن تقطعوها ، فأما الجر في الأرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر ، وخطأ أيضا في أمر الدين عظيم ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تحلفوا بآبائكم " ، فكيف يكون : تساءلون به وبالرحم على هذا ؟ رأيت أبا إسحاق إسماعيل بن إسحاق يذهب إلى أن الحلف بغير الله أمر عظيم ، وأن ذلك خاص لله عز وجل على ما أتت به الرواية ، فأما العربية فإجماع النحويين أنه يقبح أن ينسق باسم ظاهر على اسم مضمر في حال الجر إلا بإظهار الجار ، يستقبح النحويون : مررت به وزيد ، وبك وزيد ، إلا مع إظهار الخافض حتى يقولوا : بك وبزيد ، فقال بعضهم : لأن المخفوض حرف متصل غير منفصل ، فكأنه كالتنوين في الاسم ، فقبح أن يعطف باسم يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه ، وقد فسر المازني هذا تفسيرا مقنعا فقال : الثاني في العطف شريك للأول ، فإن كان الأول يصلح شريكا للثاني وإلا لم يصلح أن يكون الثاني شريكا له ، قال : فكما لا تقول : مررت بزيد وك فكذلك لا يجوز : مررت بك وزيد ، وقد جاء ذلك في الشعر ، أنشد سيبويه :

فاليم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب [3] " [4]

---

(١) معانيه ٥/٧٠ . (٢) النساء /١ .

(٣) البيت من البسيط ، قربت : أخذت وشرعت ، وانظر البيت في الكتاب ٢/٣٨٣ ، والخزانة ٥/١٢ : ١٣١ ، والأشموني ٣/١١٥ .

(٤) معانيه ٢/٦ ، ٧ .

وأقول : القراءة بخفض (الأرحام) قرأ بها حمزة من القراء السبعة [1] فهي قراءة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول أبو حيان [2] : " وقد قرأ بها سلف الأمة واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير واسطة كعثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وأقرأ الصحابة أبي بن كعب، فلا يسوغ لأحد أن يردها أو يسيء الظن بها وبقارئها ، والمأثور عن حمزة رضي الله عنه أنه لم يقرأ حرفا من كتاب الله إلا بأثر ، وكان صالحا ورعا ثقة في الحديث ، وقد قال فيه الثوري وأبو حنيفة ويحيى بن آدم:" غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض " .

وقد خطأ الزجاج ـ كما ترى ـ قراءة حمزة بجر (الأرحام) من جهتي اللفظ والمعنى، ودعواه الإجماع على قبح العطف المذكور لا نسلمها له ؛ لأنه إن أراد به ما يشمل البصريين والكوفيين جميعا لم يكن صحيحا ؛ إذ المنقول عن الكوفيين أنهم يذهبون إلى جوازه في الكلام والشعر[3]، وإن أراد به البصريين خاصة لم يكن دقيقا ؛ فقد ذكر العلماء أن بعض البصريين وافقوا الكوفيين فيما ذهبوا إليه من إجازة ذلك ، ومنهم يونس والأخفش وقطرب [4] .

والعلة التي نسبها لبعض النحويين هي لسيبويه [5] حيث يقول : " ومما يقبح أن يشركه المظهر علامة المضمر المجرور ، وذلك قولك : مررت بك وزيد ، وهذا أبوك وعمرٍو ، كرهوا أن يشرك المظهر مضمرا داخلا فيما قبله ؛ لأن هذه العلامة الداخلة فيما قبلها جمعت أنها لا يتكلم بها إلا معتمدة على ما قبلها ، وأنها بدل من اللفظ بالتنوين ... " ، والعلة التي نسبها للمازني نقلها السيرافي [6] عن المازني أيضا ، وذكر أن المبرد يتبع المازني في القول بها .

وهاتان العلتان مردودتان عند المحققين ومنهم ابن مالك وابن هشام ، أما الأولى فقالوا : لو كان شبه الضمير بالتنوين مانعا من العطف عليه لكان مانعا من توكيده والإبدال منه كما يمنع ذلك في التنوين ، والتوكيد والإبدال لا يمنعان مع الضمير بإجماع .

---

(١) انظر السبعة لابن مجاهد ص٢٢٦ ، والحجة لأبي علي الفارسي ٣/١٢١ .
(٢) البحر ٣/١٥٨ . (٣) و(٤) انظر : همع الهوامع ٢/١٣٩ ، والأشموني ٣/١١٤ ، ١١٥ .
(٥) الكتاب ٢/٣٨١ . (٦) حاشية الكتاب ٢/٣٨١ .

وأما الثانية فقالوا : ليس شرطا أن يصلح المتعاطفان لحلول كل منهما محل الآخر، ولو كان شرطا لما جاز نحو : رب رجل وأخيه ، ولا : كل شاة وسخلتها بدرهم ونحو ذلك مما لا يصلح فيه الحلول [١] .

وقال أبو حيان [٢] : تعليل المازني معترض بأنه يجوز أن تقول : رأيتك وزيدا ، ولا يجوز : رأيت زيدا وك ، فكان القياس في (رأيتك وزيدا) أن لا يجوز .

وأما تخطئة الزجاج لقراءة حمزة من جهة المعنى فجوابه ما قاله بعضهم من أن هذا حكاية ما كان عليه المخاطبون بالآية ، فإنه كثر على ألسنتهم قولهم : سألتك بالله وبالرحم [٣] .

٢ـ وقال الزجاج في قوله تعالى : ﴿قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾[٤] : " موضع (ما) رفع ، المعنى : الله يفتيكم فيهن ، وما يتلى عليكم في الكتاب أيضا يفتيكم فيهن ، ويجوز أن يكون (ما) في موضع جر ، وهو بعيد جدا ؛ لأن الظاهر لا يعطف على المضمر ، فلذلك اختير الرفع ... " [٥] .

وقوله : لا يعطف على المضمر يعني المجرور كما هو الشأن في الآية .

٣ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ [٦] : " من فتح ـ يعني همزة (أن) ـ فذكر بعض النحويين أنه معطوف على الهاء [٧] ، المعنى عنده : فآمنا به وبأنه تعالى جد ربنا ، وكذلك ما بعد هذا عنده ، وهذا رديء في القياس ، لا يعطف على الهاء المكنية المخفوضة إلا بإظهار الخافض ، ولكن وجهه أن يكون محمولا على معنى (آمنا به) ؛ لأن معنى (آمنا به) : صدقناه وعلمناه ، ويكون المعنى : وصدقنا أنه تعالى جد ربنا " [٨] .

٤ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [٩] : " (المقيمين الصلاة) نسق على (ما) ، المعنى: يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة، أي : ويؤمنون بالنبيين المقيمين

(١) انظر همع الهوامع٢/١٣٩. (٢) البحر المحيط٣/١٥٧. (٣) انظر الخزانة٥/١٢٨. (٤) النساء/١٢٧.
(٥) معانيه ٢/١١٤ . (٦) الجن /٣ . (٧) في قوله تعالى في الآية ٢ : ﴿يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾
(٨) معانيه ٥/٢٣٣ . (٩) النساء /١٦٢ .

الصلاة ، وقال بعضهم : (المقيمين) عطف على الهاء والميم ، المعنى : لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك ، وهذا عند النحويين رديء ، أعني العطف على الهاء والميم ؛ لأنه لا يعطف بالظاهر المجرور على المضمر المجرور إلا في شعر ... ولسيبويه والخليل وجميع النحويين في هذا باب يسمونه باب المدح قد بينوا فيه صحة هذا وجودته ، وقال النحويون : إذا قلت: (مررت بزيد الكريم) وأنت تريد أن تخلص زيدا من غيره فالجر هو الكلام حتى تعرف زيدا الكريم من زيد غير الكريم ، وإذا أردت المدح والثناء فإن شئت نصبت فقلت : مررت بزيد الكريمَ كأنك قلت : أذكر الكريم ، وإن شئت قلت : بزيد الكريمُ على : هو الكريم ، وجاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد ، وعلى هذا الآية ؛ لأنه لما قال : (يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) علم أنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فقال : والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة ، على معنى : اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة ، وأنشدوا بيت الخرنق بنت بدر ابن هفان :

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأزر [1]

على معنى : اذكر النازلين ، رفعه ونصبه على المدح ، وبعضهم يرفع النازلين وينصب الطيبين ، وكله واحد جائز حسن ، فعلى هذا الآية ... والذي ذكرناه من الاحتجاج في ذلك مذهب أصحابنا البصريين " [2] .

عطف الفعل على الفعل :

من مواضعه عند الزجاج :

- توجيه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [3] ، وقد أثبته على القراءة المشهورة برفع (يكون) وقال : " رفع (يكون) من جهتين : إن شئت على العطف على (يقول) ، وإن شئت على الاستئناف ، المعنى : فهو يكون " [4] .

---

(١) البيتان من بحر الكامل ، من شواهد الكتاب ٢٠٢/١ ، ٥٨/٢ ، ٦٤ ، وانظرهما في شرح الكافية للرضي ٢/ ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، وخزانة الأدب ٤١/٥ ، ٤٢ .

(٢) معانيه ١٣١/٢ ، ١٣٢ . (٣) البقرة /١١٧ . (٤) معانيه ١٩٩/١ .

ـ توجيه قوله تعالى : ﴿سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [1] ، وفيه يقول : " نصب (ليفسد) على إضمار (أن) ، المعنى : لأن يفسد فيها ، وعطف (ويهلك) على (يفسد) ، ويجوز أن يكون (ويهلكُ الحرث والنسل) على الاستئناف ، أي : وهو يهلك الحرث والنسل ، أي يعتقد ذلك " [2] .

ـ توجيه قوله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ [3] ، وفيه يقول : " القراءة (فيضاعفَه) وقرءوا (فيضاعفُه) ، بالنصب والرفع ، فمن رفع عطف على (يقرض) ، ومن نصب على جواب الاستفهام " [4] .

ـ توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [5] ، وقد أثبته على القراءة بفتح الميم في (ويعلم الصابرين) ثم قال : " وقرأها الحسن : (ويعلمِ الصابرين) بالكسر على العطف ، ومن قرأ (ويعلمَ الصابرين) فعلى النصب بالواو ، المعنى : ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين " [6] .

وهو يشير إلى شرط اتحاد زمان الفعلين إذا عطف أحدهما على الآخر ، وذلك في موضعين :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[7]، وفيه يقول : " (ونطبع على قلوبهم) ليس بمحمول على (أصبناهم) ، المعنى : ونحن نطبع على قلوبهم ؛ لأنه لو حمل على (أصبناهم) لكان : (ولطبعنا) ؛ لأنه على لفظ الماضي وفي معناه ، ويجوز أن يكون محمولا على الماضي ولفظه لفظ المستقبل كما أن (لو نشاء) معناه : لو شئنا " [8] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[9] ، وفيه يقول: " (يصدون) لفظ مستقبل عطف به على لفظ الماضي ؛ لأن معنى (إن الذين كفروا) : الذين هم كافرون ، فكأنه قال : إن الكافرين والصادين " [10] .

هذا ، وفي فصل (إعراب الفعل) أمثلة كثيرة لهذا النوع من العطف .

(١) البقرة /٢٠٥ . (٢) معانيه ١/٢٧٧ . (٣) البقرة /٢٤٥ .
(٤) معانيه ١/٣٢٤ . (٥) آل عمران /١٤٢ . (٦) معانيه ١/٤٧٢ .
(٧) الأعراف /١٠٠ . (٨) معانيه ٢/٣٦١ . (٩) الحج /٢٥ .
(١٠) معانيه ٣/٤٢٠ .

عطف الفعل على اسم مشبه له :

قال الزجاج في قوله تعالى:﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾[1]: " معطوف على (وجيها)[2]، المعنى : يبشرك به وجيها ومكلما الناس في المهد ، وجائز أن يعطف (يفعل) على (فاعل) لمضارعة (يفعل) (فاعل) ، قال الشاعر :

بات يعشيها بعضب باتر
يقصد في أسوقها وجائر [3] " [4]

عطف الجار والمجرور على الاسم :

قال الزجاج في قوله تعالى:﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[5]:" معناه: ومضطجعين ، وصلح في اللغة أن يعطف بـ(على) على (قياما وقعودا) لأن معناه ينبئ عن حال من أحوال تصرف الإنسان ، تقول : أنا أسير إلى زيد ماشيا وعلى الخيل ، المعنى: ماشيا وراكبا " [6] .

العطف على الموضع :

قال الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [7] : " وقرأ الحسن : أولئك عليهم لعنة الله والملائكةَ والناسُ أجمعون ، وهو جيد في العربية إلا أني أكرهه لمخالفته المصحف ، والقراءة إنما ينبغي أن يلزم فيها السنة ، ولزوم السنة فيها أيضا أقوى عند أهل العربية ؛ لأن الإجماع في القراءة إنما يقع على الشيء الجيد البالغ ، ورفع (الملائكة) في قراءة الحسن على تأويل : أولئك جزاؤهم أن لعنهم الله والملائكةُ ، فعطف (الملائكة) على موضع إعراب (الله) في التأويل ، ويجوز على هذا : عجبت من ضرب زيد وعمرٌو ، ومن قيامك وأخوك ، المعنى :عجبت من أن ضرب زيد وعمرو ، ومن أن قمت أنت وأخوك " [8] .

قلت : ومقتضى توجيه الزجاج لقراءة الحسن هنا ثلاثة أمور :

---

(١) آل عمران /٤٦ .
(٢) في قوله تعالى : ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ، آل عمران /٤٥ .
(٣) من مشطور الرجز ، و(يعشيها) : يطعمها العشاء ، والضمير للإبل ، والعضب : السيف ، وانظره في معاني القراء ٢١٣/١ ، والخزانة ١٤٠/٥ .
(٤) معانيه ٤١٢/١ . (٥) آل عمران /١٩١ . (٦) معانيه ٤٩٨/١ ، ٤٩٩ .
(٧) البقرة /١٦١ . (٨) معانيه ٢٣٦/١ .

أولها : أن (لعنة) من المصادر التي تعمل وأنه ينحل لـ(أن) والفعل ، والثاني : أن لفظ الجلالة له موضع من الإعراب ، وموضعه رفع على الفاعلية ، والثالث : أنه يجوز العطف على الموضع ولو لم يكن ثم طالب له ومحرز لا يتغير ، وذلك مذهب الكوفيين وبعض البصريين [1] ومنهم الزجاج كما رأينا .

وبيان انعدام المحرز المذكور في هذا التوجيه أنه لو رفع الفاعل بعد ذكر المصدر لم يجز ذلك إلا بعد تنوين المصدر ، وإذا نون المصدر فقد تغير بتنوينه ، فليس في الآية محرز أو طالب للموضع لا يتغير .

وقد منع أبو حيان [2] توجيه قراءة الحسن بما وجهها به الزجاج ، وذكر أن المصدر وهو (لعنة) لا ينحل لـ(أن) والفعل ؛ لأنه لا يراد به العلاج ، وأن شرط جواز العطف على الموضع وجود محرز له لا يتغير ، وهو غير متحقق في الآية ، ثم ذكر لتخريجها ثلاثة أوجه : الأول : أنها على إضمار فعل رافع لما لم يمكن العطف ، والتقدير : وتلعنهم الملائكة ، والثاني : أن (الملائكة) وما بعده معطوف على (لعنة الله) على حذف مضاف ، أي : لعنة الله ولعنة الملائكة ، فلما حذف المضاف أعرب المضاف إليه بإعرابه ، والثالث : أنه مبتدأ حذف خبره لفهم المعنى ، أي : والملائكة والناس أجمعون يلعنونهم .

وقال الزجاج في قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ ...﴾ [3] : " يجوز (ولا طائرٌ) بالرفع على العطف على موضع (دابة) ، التأويل : وما دابة في الأرض ولا طائر ، والجر أجود وأكثر على معنى : وما من دابة ولا طائر " [4] .

قلت : وهذا الرفع الذي أجازه قراءة غير متواترة تنسب لابن أبي عبلة [5] .

وقال في قوله تعالى : ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ [6] : " يجوز الجزم والرفع في (يذرهم) ، فمن جزم عطف على موضع الفاء ، المعنى : من يضلل الله يذره في طغيانه عامها ، ومن قرأ (ويذرُهم) بالرفع فهو رفع على الاستئناف " [7] .

---

(١) المغني ٢/٤٧٤ .
(٢) البحر المحيط ١/٤٦٠ ، ٤٦١ .
(٣) الأنعام /٣٨ .
(٤) معانيه ٢/٢٤٥ .
(٥) البحر ٤/١١٩ ، وروح المعاني ٧/١٤٣ .
(٦) الأعراف /١٨٦ .
(٧) معانيه ٢/٣٩٣ .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [1] : " يقرأ (يعقوبُ) و(يعقوبَ) بالرفع والنصب ... فأما من قرأ (ومن وراء إسحاق يعقوبَ) فـ(يعقوب) في موضع نصب محمول على موضع (فبشرناها بإسحاق) أو محمول على المعنى ، المعنى : وهبنا لها إسحاق ووهبنا لها يعقوب ، ومن قرأ (ويعقوبُ) فرفعه على ضربين : أحدهما الابتداء مؤخر معناه التقديم ، المعنى : ويعقوب محدث لها من وراء إسحاق ، ويجوز أن يكون مرفوعا بالفعل الذي يعمل في (من وراء) كأنه : وثبت لها من وراء إسحاق يعقوب ، ومن زعم أن (يعقوب) في موضع جر فخطأ زعمه ذلك؛ لأن الجار لا يفصل بينه وبين المجرور ، ولا بينه وبين الواو العاطفة ، لا يجوز : مررت بزيد في الدار والبيت عمرو ، ولا : وفي البيت عمرو ، حتى تقول : وعمرو في البيت " [2] .

وقال في قوله تعالى :﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ﴾[3]:" القراءة النصب في قوله : (يدخلكم) عطفا على (أن يكفر) ، ولو قرئت بالجزم لكان وجها ، يكون محمولا على موضع : عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ؛ لأن تأويله : توبوا إلى الله توبة نصوحا يكفر عنكم سيئاتكم ؛ لأن (عسى) من الله واجبة " [4] .

قلت : القراءة بالجزم هنا قراءة غير متواترة نسبها الزمخشري[5] إلى ابن أبي عبلة ، ووجهها بنحو ما ذكره الزجاج ، وحقيقة العطف هنا أنه عطف على المعنى لا على الموضع .

وتقدم من مواضع ذلك توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ في فصل إن وأخواتها ، وكلامه هناك يتفق مع ما ذهب إليه الجمهور من اشتراط وجود المحرز في العطف على الموضع ، ويمكن أن يقال إن الزجاج يتساهل في هذا الشرط إذا كان العامل في محل المعطوف عليه اسما مشبها للفعل ولم يكن منونا ولا مضافا إلى غير المعمول ولا مقرونا بـ(أل) كما اتضح هنا من توجيه قراءة الحسن المذكورة .

---

(١) هود /٧١ . (٢) معانيه ٦٢/٣ . (٣) التحريم /٨ .
(٤) معانيه ١٩٥/٥ . (٥) الكشاف ٤٥٧/٤ .

العطف على المعنى :

تقدم من أمثلته هنا توجيه قوله تعالى : ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ ، وقوله : ﴿يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ﴾ ، وفيما يلي أمثلة أخرى :

ـ ذكر في توجيه قوله تعالى :﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ ...﴾[1] أنه قرئ (والعينُ) بالرفع ، وأن رفعه على وجهين : الأول : على العطف على موضع (النفس بالنفس) والعامل فيها ، المعنى : وكتبنا عليهم فيها : النفسُ بالنفس ، أي قلنا لهم : النفس بالنفس ... ، والثاني : أن يكون رفعه على الاستئناف ، ثم أجاز وجها آخر وهو أن يكون (العينُ) عطفا على المضمر في (بالنفس) لأنه في موضع رفع، والمعنى : أن النفس مأخوذة هي بالنفس ، و(العين) معطوفة على هي [2] .

ـ قال في قوله تعالى : ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ﴾ [3] : " (أو) نسق على (من شفعاء) كأنهم قالوا : هل يشفع لنا شافع أو نرد " [4] .

ـ قال في قوله تعالى : ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ [5] : " قرئت : (وقوم نوح) بالجر ، و(قومَ نوح) بالنصب ، فمن جر فالمعنى : وفي قوم نوح آية ، ومن نصب فهو عطف على معنى قوله :﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[6]، ومعنى (أخذتهم الصاعقة) : أهلكناهم ، فالمعنى : وأهلكنا قوم نوح من قبل ، والأحسن ـ والله أعلم ـ أن يكون محمولا على قوله : ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ﴾ [7] ؛ لأن المعنى : فأغرقناه وجنوده وأغرقنا قوم نوح من قبل " [8] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾[9] : " (وحورٍ عين) ، وقرئت بالرفع ، والذين قرءوا بالرفع كرهوا الجر ؛ لأنه عطف على قوله : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ ... بِأَكْوَابٍ ﴾ [10] فقال : والحور العين ليس مما يطاف به ، ولكنه مجرور على غير ما ذهب إليه هؤلاء؛ لأن المعنى : يطوف عليهم ولدان بأكواب ، ينعمون بهذا ، وكذلك ينعمون بلحم طير، وكذلك ينعمون بحور عين ، ومن قرأها بالرفع فهو أحسن الوجهين ؛ لأن معنى يطوف

(١) المائدة /٤٥ . (٢) انظر معانيه ١٧٩/٢ . (٣) الأعراف /٥٢ .
(٤) معانيه ٣٤٢/٢ . (٥) الذاريات /٤٦ . (٦) الذاريات /٤٤ .
(٧) الذاريات /٤٠ . (٨) معانيه ٥٧/٥ . (٩) الواقعة /٢٢ .
(١٠) الواقعة /١٧ ، ١٨ .

عليهم ولدان مخلدون بهذه الأشياء بمعنى ما قد ثبت لهم، فكأنه قال: ولهم حور عين، ومثله مما حمل على المعنى قول الشاعر :

بادت وغير آيهن مع البلى ... إلا رواكد جمرهن هباء
ومشجج أما سواء قذاله ... فبدا وغير ساره المعزاء [1]

لأنه لما قال :(إلا رواكد) كان المعنى : بها رواكد ، فحمل (مشجج) على المعنى ، وقد قرئت (وحورا) بالنصب على الحمل على المعنى أيضا ؛ لأن المعنى : يعطون هذه الأشياء ويعطون حورا عينا ، إلا أن هذه القراءة تخالف المصحف الذي هو الإمام ، وأهل العلم يكرهون أن يقرأ بما خالف الإمام " [2] .

قلت : وما سار عليه الزجاج في توجيه رفع (حور) بالعطف حملا على المعنى هو ما سار عليه سيبويه [3] ، وقد اقتصر عليه مكي في المشكل [4] ، وما أجازه من العطف حملا على المعنى في توجيه جره تبعه في إجازته مكي ، والقراءة بنصبه قراءة غير متواترة تنسب إلى أبيّ وعبد الله [5] ، وقد وجهها الفارسي [6] والعكبري [7] ومكي [8] والزمخشري [9] والألوسي [10] كما وجهها الزجاج .

وقال في قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ﴾ [11] : " من قرأ (فأصدق وأكنْ من الصالحين) فـ(أصدق) جواب (لولا أخرتني) ، ومعناه : هلا أخرتني، وجزم (وأكن) على موضع (فأصدق) لأنه على معنى : إن أخرتني أصدق وأكن من الصالحين ، ومن قرأ (وأكونَ) فهو على لفظ : (فأصدقَ وأكونَ) " [12] .

وما ذكره الزجاج في توجيه جزم (وأكن) ذكر مثله أبو علي الفارسي في الحجة [13]، وسار عليه مكي[14] والزمخشري[15] ، ونسبه ابن هشام [16] إلى السيرافي والفارسي وقال :

---

(١) البيتان من بحر الكامل،والراجح أنهما للشماخ ، ونسبا لذي الرمة،وهما من شواهد الكتاب١/١٧٣ ، ١٧٤ ، والرواكد : الأثافي ، والمشجج : الوتد ، وقذاله : أعلاه ، وساره : سائره أي جميعه ، والمعزاء : الأرض الغليظة ذات الحجارة ، وانظر كتاب الشعر لأبي علي ٢/٥٣٨ ، ٥٣٩ .

(٢) معانيه ٥/١٠٧ . (٣) الكتاب ١/١٧٢ . (٤) ٢/٣٥١ .
(٥) روح المعاني ٢٧/١٣٨ . (٦) الحجة ٦/٢٥٥ . (٧) الإملاء ٤/٣٧٥ .
(٨) المشكل ٢/٣٥١ . (٩) الكشاف ٤/٣٦٦ . (١٠) روح المعاني ٢٧/١٣٨ .
(١١) المنافقون /١٠ . (١٢) معانيه ٥/١٧٨ . (١٣) ٦/٢٩٣ .
(١٤) الكشف ٢/٣٢٢ . (١٥) الكشاف ٤/٤٣٦ . (١٦) المغني ٢/٢٧٧ .

يرده أنهما يسلمان أن الجزم في نحو : (ائتني أكرمك) بإضمار الشرط ، فليست الفاء هنا وما بعدها في موضع جزم ؛ لأن ما بعد الفاء منصوب بـ(أن) مضمرة ، و(أن) والفعل في تأويل مصدر معطوف على مصدر متوهم مما تقدم، فكيف تكون الفاء مع ذلك في موضع الجزم وليس بين المفردين المتعاطفين شرط مقدر ؟ ، وقال الألوسي [1] بعد نقل توجيه الزجاج وأبي علي : حكى سيبويه [2] عن الخليل أنه على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ؛ لأن الشرط غير ظاهر ، ولا يقدر حتى يعتبر العطف على الموضع ... بيد أن التعبير بالتوهم هنا ينشأ منه توهم قبيح ، والفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهم أن العامل في العطف على الموضع موجود وأثره مفقود ، والعامل في العطف على التوهم مفقود وأثره موجود ، قال : واستظهر أن الخلاف لفظي، فمراد أبي علي والزجاج العطف على الموضع المتوهم أي المقدر ؛ إذ لا موضع هنا في التحقيق ، لكنهما فرا من قبح التعبير .

وقد مشى أبو البقاء العكبري [3] وابن هشام [4] على أن الجزم في (وأكن) بالحمل على المعنى وفاقا للخليل وسيبويه ، وهو مراد الزجاج وأبي علي كما ذكر الألوسي .

العطف على معمولي عاملين :

تناوله الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [5] ، وفيه يقول : " تقرأ (آياتُ) و(آياتٍ) بخفض التاء ، وهي في موضع نصب على العطف على قوله : ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ﴾ [6] ، المعنى : إن في خلقكم لآيات ، ومن قرأ (آيات) فعلى ضربين : على الاستئناف على معنى : وفي خلقكم آيات ، وعلى موضع (إن) مع ما عملت فيه ، تقول : إن زيدا قائم وعمرًا وعمرٌو ، فتعطف بـ(عمرا) إذا نصبت ، وإذا رفعت فعلى موضع (إن) مع (زيدًا) ، فإن معنى (إن زيدًا قائم) : زيد قائم ، وقوله : (واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) إلى قوله : (آيات لقوم يعقلون) يقرأ بالرفع ويكسر التاء والتنوين ، والموضع موضع نصب ، ويكون قوله : (واختلاف الليل والنهار) عطف على قوله :

---

(١) روح المعاني ١١٧/٢٨ . (٢) الكتاب ١٠٠/٣ . (٣) الإملاء ٤٠٠/٤ .
(٤) روح المعاني ١١٧/٢٨ . (٥) الجاثية /٤ . (٦) الجاثية /٣ .

(وفي خلقكم) وعلى قوله : (إن في السماوات والأرض) وإن في (اختلاف الليل والنهار) آيات ، وهذا عطف على عاملين ، ومثله من الشعر :

أكل امرئ تحسبين امرءا ونار توقد بالليل نارا (١)

عطف على ما عملت فيه (كل) وما عملت فيه (تحسبين) ، وقد أباه بعض النحويين وقالوا : لا يجوز إلا الرفع في قوله : ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ﴾ وجعله عطفا على عامل واحد على معنى : واختلاف الليل والنهار وتصريف الرياح آيات ، وهذا أيضا عطف على عاملين ؛ لأنه يرفع (آيات) على العطف على ما قبلها كما خفض (واختلاف) على العطف على ما قبلها، ويكون معطوفا إن شئت على موضع (إن) وما عملت فيه ، وإن شئت على قراءة من قرأ ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ﴾ " (٢) .

حذف الواو ومعطوفها للدليل :

من أمثلته عند الزجاج قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ (٣) ، وفيه يقول : " ويجوز أن يكون (ولا ينفقونها) : ولا ينفقون الفضة ، وحذف الذهب لأنه داخل في الفضة ، كما قال الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف (٤)

يريد : نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض ، فحذف (راضون) فكذلك يكون المعنى : والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل الله ، والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله " (٥) .

وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ (٦) ، وفيه يقول : " يجوز أن يكون المعنى : وقدرها منازل ، فحذف أحدهما اختصارا وإيجازا ، كما قال الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف " (٧)

---

(١) البيت من المتقارب ، لأبي دؤاد وينسب لعدي بن زيد ، من شواهد الكتاب ٦٦/١ ، وانظره في كتاب الشعر لأبي علي ٤٤/١ ، والمسائل الشيرازيات ٢٣٥/١ .

(٢) معانيه ٤٣١/٤ ، ٤٣٢ . (٣) التوبة /٣٤ .

(٤) البيت من المنسرح لقيس بن الخطيم ، ديوانه ص٤٥ وجمهرة أشعار العرب ٦٦٢/٢ ، وانظر الكتاب ٧٤/١

(٥) معانيه ٤٤٥/٢ . (٦) يونس /٥ . (٧) معانيه ٧/٣ .